الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

إسم المادة: التعليم من أجل التحرر والوعي النقدي

إسم الدكتور : الدكتور طه محمد العبود

الأكاديمية العربية الدولية – منصة أعد

المقدمة

إننا نعيش في ظل أوضاع متزعزعة، ملؤها القلق والتوتر والتخلف والجهل والضياع والتفكك الاجتماعي والصراعات المختلفة، التي جعلت من المجتمع العربي يقف تائهاً بين الرجوع إلى قيم الحضارة العربية الأولى أو السير خلف الحضارة الغربية الحديثة، والذي أظهر هذا جلياً ما حدث مع الشعوب العربية من خلال الثورات المختلفة التي أظهرت حجم الكارثة على كل الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التربوية.

من هنا بدأ السؤال كيف وصل عالمنا المعاصر إلى هذه الحال؟ ولماذا تغيرت واختلفت ظروف حياتنا عما كانت عليه في عهد آبائنا وأجدادنا؟ وما الوجهة التي سيتخذها التغير في المستقبل؟ الحقيقة إن هذه الأسئلة تحتل الصدارة في علم الاجتماع ، وهو مجال الدراسة التي تتولى بالتالي دورة حيوية في الثقافة الفكرية الحديثة

التعليم من منظور الفيلسوف التربوي فريري

والتعليم كما يراه باولو فريري: هو الأساس وهو العمل على تحريره يبنى مجتمعاً حراً من خلال ممارسة النقد الواعي الذي يقضي على سلطة القهر وينهي ثقافة الصمت، فعندما يتحول التعليم من التعليم البنكي الخازن إلى تعليم حر قائم على ثقة وحب واحترام وتواضع وديمقراطي أخلاقي بين المعلم والمتعلم وبالكلمة الصادقة تتحقق الإنسانية.

يهتم باولو فريري بالمجتمع الثالث المهمش المستضعف المقهور ثقافياً وتربوياً الذي يعيش ثقافة الصمت والقهر ويعاني من عقدة النقص والخوف ومن ازدواجية انغرست في ضمائر هذا المجتمع، ولذلك هم لا يستطيعون تحقيق الحرية، لذلك قام بوضع مقترحات تساعد على إيجاد الذات ضمن هذا المجتمع وآليات تساعد المقهورين على تحقيق الهدف.

أولاً: الجذور التربوية الأولى للقهر:

تتمثل عملية التعليم من أجل التحرر على ثلاثة ركائز أساسية، القهر والحوار والوعي، وقد

ليس من السهل علينا أن نحدد تاريخ القهر من الناحية التربوية، يُشير باولو إلى جذور اجتماعية وتاريخية فهي غالباً ما تقترن بالحظ أو المصير الذي هو من صنع الله ولا يد للإنسان فيه فمن خلال ممارسة المقهورين للسحر والأساطير يصل الفلاحون إلى قناعة مؤداها أن كل ما يلحق بهم من عناء واستبداد هو من مشيئة الله وكأن الله هو سبب هذه الفوضى المنظمة

إنّ القهر الذي يشير إليه فريري في كتبه يسميه ثقافة الصمت وهي جملة من المبادئ والعمليات الاجتماعية والفكرية وخليط من الظلم الاجتماعي والفقر الذي يعتنقه الشخص من العالم الثالث، لتصير سمة أساسية بارزة في ذلك العالم وينطبع ذلك في عقولهم ووجدانهم فيصبح المحرك الأساسي لهم ، وعليه فالإنسان الذي يمارس حياته بإرادة مسلوبة وكأنه آلة يفضل الموت على الحياة واستناداً على ما ذكرناه فإن المقهور أحيط بكل عوامل الموت أثناء القهر

ما هي سمات المقهورين ؟

1. سمة الخوف

أول تلك السمات أنّهم يعانون من عقدة الخوف، فهم مقيدون لا يستطيعون الاستجابة إلى نداءات الأخرين، أو نداءات أنفسهم، وسيفضلون حياة القطيع على الزمالة الحقة، أو لعلهم يفضلون التوافق مع واقعهم غير المتحرر على ذلك الابداع الجماعي الذين يتحقق لهم بفضل الحرية أو النضال من أجلها.

1. ازدواجية المقهورين

أن المقهورين يعانون من ازدواجية انغرست في ضمائرهم ، فعلى الرغم من أنهم يشعرون بأنهم من غير الحرية لا يستطيعون تحقيق وجودهم الذاتي فإنهم في نفس الوقت يخشون الحرية.

وسائل وأدوات القاهرين ضد المقهورين

ذكرنا في الفقرة السابقة أسباب داخلية تسيطر على المقهورين من عقدة الخوف وازدواجية متناقضة، وكذلك جملة من الخرافات والأساطير التي تتحكم بسلوكياتهم، وبالإضافة إلى ذلك هناك أساليب خارجية تُمارس عليهم من قبل القاهرين لإحكام قبضتهم على المقهورين لبناء الشخصية التي يريدونها، وعليه سنذكر هذه الأساليب

وسائل وأدوات القاهرين ضد المقهورين

يطلق عليه الاستيلاب أو ظاهرة الغزو كما يحلو للبعض تسميتها تسميتها، من خلال هزيمة الآخرين قمعياً وتعنيفاً، وعن طريق التضليل الذي يودعه القاهرون في عقول المقهورين ، وأهم أساليب التضليل إبهام المقهورين بأن مجتمع القهر هو مجتمع الحرية، و أن مجتمعهم يحترم الحقوق الإنسانية وأن أي بائع في الشارع له قيمة تعدل قيمة صاحب المصنع الكبير وأن التعليم حق للجميع ، ذلك في الوقت الذي لاتصل فيه سوى قلة قليلة من الأبناء إلى مستوى الجامعات

فرق تسد

ويعتبر هذا المبدأ من المبادئ المهمة في العمل القهري، ويرجع تاريخه إلى بداية القهر ذاته ويتلخص في أنه مادامت الأقلية في مجتمع المقهورين هي التي تخضع الأغلبية لسيطرتها فإن سبيل بقائها في الحكم رهن قدرتها على تفريق كلمة المقهورين

الاستغلال

إنّ الاستغلال يشكل بعداً آخر في العمل غير الحواري فهو شبيه فرق تسد وسيلة من وسائل الغزو أيضاً، فبوسيلة الاستغلال تحاول الطبقة المتسلطة أن تجعل كتلة الناس تتوافق مع أهدافها وبقدر ما تكون الجماهير غير ناضجة في خبرتها السياسية بقدر ما تسهل عملية استغلالها بواسطة أولئك الذين لا يريدون فقدان سلطتهم.

الغزو الثقافي

يخترق الغزاة الواقع الثقافي الجماعة من الناس متجاهلين إمكانات هذا الواقع ومحاولين فرض تصورهم الخاص للعالم على أولئك الخاضعين من أجل تعطيل قدراتهم على الإبداع والتعبير، وبصرف النظر عما إذا كان الغزو الثقافي متحضراً أم همجياً فإنه مظهر من مظاهر العنف موجه ضد فئة من الناس من أجل إضاعة أصالتها وتهديدها بالزوال، وكأي عمل قهري، فإن الغزاة يمارسون دور المؤلفين والممثلين في هذه العملية، وأما الذين يتم إخضاعهم فيشكلون المسرح الذي ينجزون فيه مثل هذا العمل. وقد يكون الغزو الثقافي ظاهراً أو قد يتنكر في بعض الأحيان في ثوب التمويه، وذلك حين يتظاهر الغزاة بأنهم أصدقاء.

ما أدوات ووسائل التربية التحريرية ؟

1. التعاون

تقوم فكرة التعاون على إحلال الأنت ونحن بدلاً من الأنا في علاقة جدلية من أجل تغيير العالم، فإذا كان الامتلاك أو الغزو بصفتهما حجر الأساس في تلك النظرية يضمنان وجود فاعل وهو الغازي ومفعول به وهو المغزو وهو الذي يحولّه هذا الغازي إلى مجرد شيء، فعكس هذا نجده في نظرية العمل الحواري أو التربية للتحرير، ذلك أن الفاعلين يلتقون جميعا في علاقة تعاونية من أجل تطوير العالم.

ما أدوات ووسائل التربية التحريرية ؟

1. الوحدة من أجل التحرير

لا بد من الوحدة بين المقهورين وبين الناس، وذلك من أجل أن يتمكنوا من تحقيق هدف التحرير، وذلك من خلال ممارسة في الحد الأدنى، ولو حدثت الخلافات أحياناً والتي يمكن مجابهتها بالوحدة عند أي تهديد، والثوريون لا يستطيعون أن يسيروا دون الجماهير.

1. التنظيم

إن التنظيم هو الرد الحاسم على نزعة الاستقلال، وعلى الرغم من أن التنظيم يرتبط دائماً بالوحدة فإنه في حقيقته تطور طبيعي لها، لذلك فإن سعي القادة لتحقيق الوحدة هو في حقيقته سعيٌ من أجل التنظيم الذي به تتحقق أهداف الحرية، وهو دليل على التواضع والشجاعة.

ما أدوات ووسائل التربية التحريرية ؟

1. التأليف الثقافي

برأيي إن التآلف الثقافي من أهم ما يجب أن نركز عليه وهي ضرورية لمعالجة واقعنا العربي والعمل الثقافي هو في جميع الأحوال عمل منظم يستهدف البيئة الاجتماعية إما بغرض المحافظة عليها وإما بغرض تطويرها، وعليه فإن له نظريته التي تحدد أهدافه وتوضح الوسائل التي يتبعها فإما أن يخدم العمل الثقافي وهي السيطرة وإما أن يخدم أهداف التحرير ، ولذلك إن هذين النوعين من العمل يختلفان في نتائجهما ولذلك يخلقان علاقة جدلية قائمة على الدوام والتغير ، فلكي يكون التنظيم الاجتماعي فلا بد له من أن يصير، أو بمعنى آخر فإن الصيرورة هي التي يحقق بها المجتمع الاستمرارية حتماً، كونه يعتمد على الحوار فالنتائج إيجابية وليست سلبية.

ما هي إشكالية التعليم عند المقهورين من ثقافة الصمت إلى الوعي والنقد؟

تعليم المقهورين كممارسة إنسانية من أجل الحرية لا بد له من أنه يمر بمرحلتين متمايزتين: الأولى يستجلي المقهورون عالم القهر ومن خلال ممارستهم للنضال يلتزمون بتغيير هذا الواقع ، وفي المرحلة الثانية أي بعد أن تتضح حقيقة القهر لا يصبح التعليم من أجل المقهورين فقط بل يصبح من أجل الرجال كلهم، وفي كلتا المرحلتين فإن النضال وحده هو الذي لأجل تحقيق حريتهم.

ما هي إشكالية التعليم عند المقهورين من ثقافة الصمت إلى الوعي والنقد؟

عندما تسيطر على الناس عقلية خرافية متسلطة، وعادات وتقاليد بالية متأصلة في نفوس الناس، فمن الطبيعي أن ينتقل هذا الموروث إلى الأطفال التي ستودي دوراً ما في صناعة المستقبل، فالأسرة التي تشكل نواة هذا الطفل التي بدأت تتشكل عنده أسئلة كيف؟ وماذا؟ يبدأ القهر من خلال شجب هذا الطفل لتشكل عنده بدايات القهر، وإذا انتقل إلى المدرسة حاملاً معه الكبت أو الخرافيات فسوف تمتزج هذه الأفكار التي يصعب نزعها لأنها ترسخت في عقله وباطنه الوجداني وهنا يبدأ دور المعلم في هذه المرحلة.

يكشف التحليل الموضوعي العلاقة بين المعلم والطالب القائمة داخل المدرسة وخارجها عن أسلوب التواصل بينهما، وهو أسلوب يعتمده على وجود حاكٍ يقوم بدوره المعلم و مستمع يقوم بدوره الطالب ، فالموضوع في عامته يشكل أبعاداً عقلية مستمدة من الواقع فهو يظل فاقداً للحياة وتلك هي أزمة التعليم، يتحدث المعلم عن الواقع وكأنه موات لا حياة فيه أو كأنه متوقف وخمور و قابل للاستنتاج وبذلك يبدو الموضوع غريباً على خبرة التلاميذ وتنتهي مهمة المدرس في هذه العلاقة عند ملء حقول التلاميذ محتوى قصته

المفهوم البنكي للتعليم

وهكذا تتحول الطلاب فيه إلي بنوك يقوم الأساتذة فيها بدور المودعين، فلم يعد الأستاذ يقوم بوسيلة من وسائل المعرفة والاتصال بل أصبح مصدر بيانات ومودع معلومات ينتظره الطلاب في صبر ليستذكروا ما يقوله ثم يعيدوه، ذلك هو المفهوم البنكي للتعليم وتتجلى علاقة التعليم البنكي بين المعلمً والمتعلم في سلوكيات البيئة التعليمية: الأستاذ يُعلم والطلبة يتلقون.

- الأستاذ يعرف كل شيء، والطلاب لا يعرفون أي شيء.
- الأستاذ يفكر، والطالب لا يفكر.
- الأستاذ يتكلم، والطالب يستمع.
- الأستاذ ينظم، والطالب لا ينظم.
- الأستاذ يختار ويفرض اختياره، والطالب يذعن.
- الأستاذ يتصرف، والطالب يعيش في وهم التصرف من خلال عمل الأستاذ.
- الأستاذ يختار البرنامج والمحتوى، والطالب يتأقلم مع الاختيار.
- الأستاذ يرتب المعرفة، ويتدخل فيها ويحول دون الطلاب ودون ممارستهم لحريتهم.
- الأستاذ قوام العملية التعليمية والطالب نتيجتها.

• من سلبياًخلال هذه السياسة التربوية البنكية القهرية نستنتج نقاطاً سلبية منها:

- انتشار ثقافة الصمت التي تعتمد على الحفظ دون الفهم والإدراك، وهنا يتشوه واقع التعليم.
- انتشار التسلط التربوي الذي يعتمد على مبدأ الإلزام والإكراه والإفراط في استخدام السلطة في العلاقات العمودية في التعامل خلال العلاقة بين المعلم والطالب، والتي ترجع أسبابه إلى عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية، وتكون ضحيته كلاً من الفرد والمجتمع، فهو يسهّل إعادة إنتاج التسلط، ويضعف النظام التعليمي، وينشّط الغزو الثقافي، ويطمس الروح النقدية الواعية، وبالتالي يعيق الابداع.
- وأن هذه الطريقة تجعل من عقول الطلاب مخازناً للمعلومات دون وعي بعلاقة هذه المعلومات بالعالم المحيط بهم، كما تزيد من سلبية الطالب وتجعله إنساناً صامتاً سلبياً غير قادراً على التغير أو التكيف مع ما يحيط به من متغيرات في عالم تتزايد فيه معدلات التغيير، وفي نفس الوقت تتسم أحكامه بالميل إلى الحزم والتأكيد القاطع فلا يؤمن بتعدد الطرق للوصول إلى الحقيقة.

وعليه لا بد من تغيير هذا الواقع القهري، من خلال فهم النقاط التحررية:

- أن التعليم الحق الحر هو ذلك الذي يعمد إلى حل التناقض القائم بين الأستاذ وتلميذه ويعمد الى إجاد نوع من المصالحة يصبح الطرفان فيها أساتذة وطلاباً في نفس الوقت، ومثل هذا الحل غير موجود في المفهوم البنكي.
- لا سبيل إلى حل المشكلات وحل التناقضات التي تحول دون تحقيق الحرية سوى التعليم، ففي هذا النوع من التعليم ينفي وجود مدرس الطالب وطالب المدرس، ويحل مكان هذه العلاقة علاقة أخرى جديدة هي علاقة المدرس والطالب والطالب والمدرس معاً في حل المشكلات. وعليه فإن السلطة تكون للحرية وليست لأية جهة أخرى.
- وإن تحقيق الإنسانية لا يمكن أن يكون عملاً فردياً يتم في عزلة وإنما لا بد له أن يتم في إطار من الزمالة والتلاحم.

معالم التربية التحررية

1. **المسؤولية الأخلاقية:** إنّ المسؤولية الأخلاقية في ممارسة مهنة التعليم لا يجب أن تختزل أبدًا في صورة تدريب، بل يجب أن تتجاوز الإعداد الفني، وأن ترتبط بجذور التشكيل الأخلاقي للذات الإنسانية والتاريخ الإنساني، وبالتالي يجب أن تلتصق المسؤولية الأخلاقية بالمهنة التعليمية.

2. **الديمقراطية:** يجب ألّا يكون المعلم فقط هو مصدر المعرفة الوحيد وكأن الطلاب ليس لديهم أي معرفة أو خبرة، ويجب أن تقوم عملية التعليم على أساس المنهج الحواري الذي يشجع فضول المتعلم ورغبته في المعرفة ، والتساؤل والتفاعل الحقيقي ، وعلى ممارسة التفكير النقدي في فهم الواقع المعاش ، والاستقلالية في اتخاذ القرار والتساؤل الفضولي، ويجب أن يرتكز تعليم الاستقلالية على حق الحوار والحديث مع الآخر، وذلك في مواجهة مواقف القهر والتسلط في الممارسات التعليمية.

3. **الإعتراف بالنقص المعرفي:** كأساس للتربية المستمرة، فالناس قادرون على التعلم فقط إلى الحد الذي هم فيه قادرون على إدراك أنفسهم، على أنهم كائنات ناقصة، فالتعليم ليس هو ما جعلنا قابلين للتعلم، بل وعينا بأننا ناقصون هو ما جعلنا قابلين للتعلم، وهذا أصل أساسي من أصول الممارسة التربوية.

4. **الشجاعة المدنية:** إن الدور الفاعل للإنسان في مسيرته التاريخية عبر صراعات القوى والمصالح هو السعي من خلال الشجاعة المدنية والمغامرة والمخاطرة لصنع حياة أفضل، مما يتطلب الالتزام واختيار المواقف المتسقة مع الطبيعة الأخلاقية التي تخاصم ما ليس صحيحًا أخلاقيًا، وهذا يجعل الإنسان يعي ويدرك ما يحيط به وبالتالي هو مسؤول عن تصرفاته بحكمة لأن القيمة المدنية تنبع من الغضب من الواقع ومن الأمل.

القيم التي لا بد منها لتكتمل العملية التعليمية التربوية منها:

الحرية: التي لا تتحقق بالصدفة وإنما بنضال المدرك لضرورة تجسيدها.

1. المشاركة: إن التعليم يجب أن يقوم على المشاركة التامة بين القادة والجماهير، وأن تغذى هذه المشاركة بالتجربة العملية وألا تكتفي بمجرد تعرية الواقع فهذه هي الوسيلة الوحيدة لنقد الواقع من أجل إعادة تشكيله وهي الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها المقهورون إعادة تشكيل واقعهم بطريقة فعالة.
2. الإبداع لا يمكن أن يكون هناك إبداع بدون مخاطرة، والمخاطرة يمكن أن تؤخذ بالاعتبار لكي نبدع.
3. التسامح: إن التسامح هي فضيلة أخرى وبدونه لا يمكن أن يكون هناك احتمال لوجود عمل تربوي جاد وبدون التسامح لن يكون هناك خبرة ديمقراطية أصيلة قابلة للتطبيق، وبدونه فإن الممارسة التربوية التقدمية تنكر نفسها، إن التسامح هو الفضيلة التي تعلمنا أن نعيش مع المختلف وأن نحترم المختلف.
4. التحدي: إن الإنسان الذي يواجه خلال عملية التعلم بسيل متصل من المشكلات الواقعية يشعر بنوع من التحدي كما يشعر بمسؤوليته في مواجهة هذا التحدي.
5. الحب: ولما كان موقفاً شجاعاً لا يحفل بالخوف فإنه يعترف بالآخرين وحقهم في الحياة وهو حق يتمثل في تحقيق الحرية لهم، وبما أن الحب موقف شجاع فإنه لا يمكن أن يقوم على مبدأ الاستغلال بل يجب أن يولد في الآخرين الرغبة في تحقيق الحرية.
6. العمل الصادق: من أجل إزالة ظروف القهر يستوجب تصوراً نظرياً يوضح منهج الت

القيم التي لا بد منها لتكتمل العملية التعليمية التربوية منها:

1. الثقة: إن الثقة يجب ألا تتسم بالسذاجة، إذ يجب أن يثق القادة في قدرات الجماهير الكامنة وبذلك لا يعاملونهم كأشياء وإنما يعاملونهم كمشاركين في عملية التحرير.
2. الممارسة: إن الممارسة في حد ذاتها تنمي القدرة على الفهم وهذا هو الحال بالنسبة للفعل الثوري حيث يشترك المقهورون والقادة معاً.
3. التعاون: إنه يقود المجتمع الحواري إلى النظر في الواقع لمواجهة تحدياته لأجل تطوير الواقع.
4. الإيمان: وهو يذكر أن الحوار يتطلب إيماناً مركزاً في البشر وفي قوة العمل والابتكار وتكراره.
5. التواضع: الحوار لا يتم إلا بالتواضع، والحوار كعمل إنساني يتطلب التعقل، فكيف أتحاور مع الآخرين وأنا دائما أتهمهم بالجهل.
6. الأمل: بدونه يصبح الكفاح ضعيفاً ومذبذباً، فنحن بحاجة إلى أمل نقدي.

– باولو فريري: المعلمون بناة ثقافة. رسائل إلى الذين يتجاسرون على اتخاذ التدريس مهنة، ترجمة حامد عمار وآخرون، آفاق تربوية متجددة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2004م، ص ص: 99 104

الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الخلاصة

يشهد عالمنا العربي كما أشرنا سابقاً أزمة لا تقتصر على المستوى السياسي والاقتصادي فقط بل على مستوى تفوق قساوته كلّ المستويات إنها أزمة المقهورين على المستويين الاجتماعي والفكر التربوي، وقد ظهر هذا جلياً من خلال الثورات والحركات التمردية في عالمنا العربي بشكل عام منذ مطلع 2011م وحتى الآن فبينت مدى عمق الأزمة الفكرية التربوية والاجتماعية من تخلف وجهل وقهر وصمت.

من هنا لا بد من دراسة وتدريس هذه الأفكار لأن الأزمة شاملة من رأس الهرم إلى أطرافه من صغير وكبير من الراعي والرعية من المعلم والمتعلم من الشيخ والمريد، وأعتقد أن هذا لا يتنافى وثقافتنا العربية والإسلامية.

وعلى المثقفين أن ينظروا في آراء ونظريات المفكرين الراديكاليين والثوريين، وما أنتجوه في سبيل نهضة بلادهم فقد شهدت أوضاعاً تعليمية وتربوية سيئة، مما كون لديهم خبرات عملية وعلمية دقيقة قائمة على التطبيق التربوي، لذلك فإن العالم العربي بنظامه التربوي بحاجة إلى هذه الأفكار التي ترتقي بمستوى التعليم، ولأن الأجيال في هذا القرن تواجه ظروفاً وتحديات فريدة من نوعها؛ حيث ثورة المعلومات والاتصالات، العولمة والانفتاح على العالم بمختلف أفكاره ومعتقداته وأيديولوجياته... و تغيرات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية لا حدود لها، ولا مناص من التعامل معها بجميع تفريعاتها وتعقيداتها.